سلسلة الرسائل الدعوية

رسالة إلى الأب

تأليف

سلمان بن فهد العودة

المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩

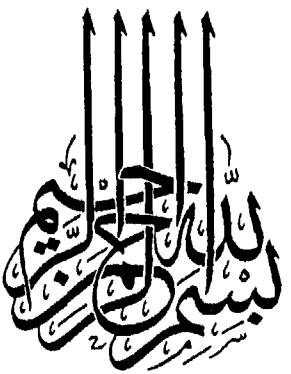
بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
رقم الإيداع : ١٨٩١٥/٢٠٠٢م .
الترقيم الدولي : ٤-٠٧٤-٣٣١-٩٧٧

دار الصديق
للنشر والتوزيع
صنعاء - الحصبة
ص . ب (٨٢٦٩) تلفاكس (٢٣٢٥٨٥)
بريد إلكتروني alsedeeq@y.net.ye.

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية
E mail : dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله الذى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص : ٣-٤] ، تفرّد بالوحدانية ، وجعل من صفات خلقه الزوجية ، فقال عز وجل : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

أحمده وأشكره ، وأصلى على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فهذه الرسالة لها من اسمها نصيب ، فهى رسالة وليست كتاباً ولا بحثاً ، ولا تصنيفاً جامعاً .

ولكنها رسالة نبّهتُ فيها على بعض القضايا المعاشة فى هذا الوقت ، تلمَّستها من المشاكل التى نعالجها ، والأسئلة التى نُسألها ، والقضايا التى نخبرها .

فجمعت بعضها فى هذه الرسالة ، تنبيهات عجلى ؛ ليتبعها بعد ذلك ما يتممها من جوانب أخرى .

وعندما أطرحها اليوم بين يدى القارئ ، فليعلم : أن موضوع الأبوة وحقوقها وما يستلزمها ويستتبعها مما لا يحيط به كتاب فضلاً عن رسالة صغيرة ؛ لتشعُّبه واتساعه وكثرة متعلقاته.

ولكن !مثل هذه الرسائل الموجزة ، تحمل إشارات موجزة، تفيد من لم يطّلع على مادة أوسع ، وتدفع إلى مواصلة الإطلاع ومتابعة الاهتمام ، فالقضية فى غاية الأهمية ، وحقيقٌ [١] بالأب معرفة واجباته ، وكيفية أدائها ، وتوقى الأخطاء وجوانب القصور فى أداء دوره .

وفى هذه الرسالة ما نرجو أن يعين على ذلك ، ويبصر بشيء منه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

سلمان بن فهد العودة

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

---

(١) حقيق : أى جدير وحرىّ .

تمهيد :

* الولد نعمة :

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمةَ الولد ، فقال عزَّ وجل : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً (١٢) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) ﴾ [المدثر : ١١-١٥] .

فوجود الأولاد بحضرة أبيهم يغدون معه ويروحون ، هو زينة فى المجالس ، وبهجة فى الحياة الدنيا، وعون على لأوَاء [١] الحياة ؛ ولذا امتنّ الله بهذه النعمة فى غير ما موضع من كتابه ، قال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) ﴾ [النحل : ٧٢] .

ولو تصوّر أحد منا أنه يواجه الحياة وحيداً فريداً ، بلا ولد ،

---

(١) اللأواء : الشدة والمشقة ، كذا فى لسان العرب .

ولا عون ، ولا مساعدة ؛ لشعر بأن الحياة مظلمة جداً .

يعرف ذلك ويدركه حق المعرفة ، أولئك الذين امتحنهم الله تعالى بالعقم ، فلا يولد لهم ، فيدخل الواحد منهم بيته ، وهو يشعر كأنه يدخل قبراً ، ليس فيه صياح الأطفال ، ولا صراخهم ، ولا تضاغيهم ، بل ولا عبثهم الذى يتمناه ، ويتصوره ، ويتخيله ، ويعرف ذلك ويتذوقه من رزق رهافة الحس ، وسلامة الفطرة ، وقد صور هذا المعنى الشاعر عمر الأميرى -رحمة الله - فى قصيدة « أب » حيث قال :

ذَهَبُوا ، أَجَلْ ذَهبوا ، وَمَسْكَنُهُمْ ... فِى الْقَلْبِ،مَا شَطُّو وَمَا قَرُبُوا
إِنِّي أَراهُمْ أَيْنَمَا الْتَفَتَتْ ... نَفْسى ، وَقَدْ سَكَنُوا ، وقَدْ وَثُبُوا
وأُحسُّ فى خَلَدي تَلاعُبَهُمْ ... فى الدَّارِ ، لَيْسَ يَنالُهُمْ نَصَبُ
وبَرِيقَ أَعْيُنِهِمْ ، إِذا ظَفَرُوا ... وَدُمُوعَ حُرْقَتِهِمْ ، إِذا غَلَبُوا
فى كُلِّ رُكْنٍ مِنْهُمُ أَثَرٌ ... وَبِكُلِّ زَاوِيَةٍ لَهُمْ صَخَبُ
فى النَّافذات ، زُجَاجَها حَطَمُوا ... فى الحَائِطِ الْمَدْهُونِ ، قَدْ ثَقَبُوا
فى الْبَابِ قَدْ كَسَرُوا مَزَالِجَهُ ، ... وَعَلَيْهِ قَدْ رَسَمُوا وَقَدْ كَتَبُوا

فى الصَّحْنِ ، فيه بَعْضُ ما أكَلُوا ... فى عُلْبَةِ الحلْوى الَّتي نَهَبُوا
فى الشَّطْرِ منْ تُفَّاحَةٍ قَضَمُوا ... فى فَضْلَةِ الْمَاءِ الَّتى سَكَبُوا
إنِّى أراهُمْ حَيْثُمَا اتَّجَهَتْ ... عَيْنى ، كَأَسْرابِ الْقَطَا ، سَرَبُوا
دَمْعِى الَّذى كَتَمْتُهُ جَلَداً ... لَمَّا تَبَاكَوا عندَمَا رَكِبُوا
حتَّى إذا سَارُوا وقَدْ نَزَعُوا ... منْ أَضْلُعِى قَلْباً بهمْ يَجِبُ
أَلْفَيْتُنِي كَالطِّفلِ عَاطفَةً ... فَإذا به كَالْغَيْثِ يَنْسَكِبُ
قَدْ يعْجَبُ الْعُذَّالُ منْ رَجُلٍ ... يَبْكِى ، وَلَوْ لَمْ أَبْكِ فَالْعَجَبُ
هَيْهَاتَ مَا كُلُّ الْبُكَا خَوَرٌ ... إنِّى وَبِي عَزْمُ الرِّجَالِ أَبُ

ويعرف ذلك ويحسُّه مَنْ فُجِعَ فى ذريته بعد سرور بهم وغبطة ، فأحسَّ لوعة الفقد وحرارة الحرمان ، وممن عبّر فى ذلك الأستاذ : أحمد حسن الزيات حينما توفى ابنه رجاء ، فكتب يقول : « لما جاء –رجاء– وجدتنى أُولد فيه من جديد ؛ فأنا أنظر إلى الدنيا بعين الخيال ، وأبسم إلى الوجود بثغر الأطفال ، وأضطرب فى الحياة اضطراب الحى الكامل يدفعه من ورائه طمع ، ويجذبه من أمامه طموح ! شعرت بالدم الحار

يتدفق نشيطاً فى جسمى ، وبالأمل القوى ينبعث جديداً فى نفسى ، وبالمرح الفتىّ يضح لاهياً فى حياتى ، وبالعيش الكئيب تتراقص فى حواشيه الخضر عرائس المنى ! فأنا ألعب مع رجاء بُلعبه ، وأتحدث إلى رجاء بلغته ، وأتبع عقلى هوى رجاء فأدخل معه ذهول البراءة فى كل ملهى ، وأطير به طيران الفراشة فى كل روض ، تم لم يعد العمل الذى أعمله جديراً بعزمى ، ولا الجهد الذى أبذله كفاءً لغايتى ، فضاعفت السعى ، وتجاهلت النصب ، وتناسيت المرض ، وطلبت النجاح فى كل وجه ؛ ذلك لأن الصبى الذكى الجميل أطال حياتى بحياته ، ووسّع وجودى بوجوده ، فكان عمرى يغوص فى طوايا العدم قليلاً قليلاً يمدّ عمره بالبقاء ، كما يغوص أصل الشجرة فى الأرض ليمد فروعها بالغذاء .

شغل رجاء فراغى كله ، وملأ وجودى كله ، حتى أصبح شغلى ووجودى ! فهو صغيراً أنا ، وأنا كبيراً هو ؛ يأكل فأشبع ، ويشرب فأرتوى ، وينام فأستريح ، ويحلم فتسبح روحى وروحه فى إشراق سماوى من الغبطة لا يوصف ولا يُحد !! .

ما هذا الضياء الذى يشع فى نظراتى ؟ ما هذا الرجاء الذى يشيع فى بسماتى ؟ ما هذا الرضا الذى يغمر نفسى ؟ ماهذا النعيم الذى يملأ شعورى ؟ ذلك كلُّه انعكاس حياة على حياة ، وتدفق روح فى روح ، وتأثير ولد فى والد ! .

وفى مراثى الشعراء لأبنائهم ما يبرز كثيراً من معانى الأبوة التى قد لا يحس بها الإنسان فى زحمة معاناته اليومية .

إن الذرية هبة من الله ؛ لذا قال عز وجل : ﴿ **يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)** ﴾ [الشورى : ٤٩ - ٥٠] .

وهذه النعمة العظيمة ما زال يُفرح بها ويُسر ، منذ أول الدهر ؛ بل ما زال الإنسان يجد فى هؤلاء الأولاد الروائح الزكية ، والأنفاس الطيبة والفرحة التى يفرح بالدنيا من أجلها .

يقوم أحدهم :

لولا بنيـــاتٌ كـــزُغب القطا ... رُدِّدن مـن بـعـضٍ إلـى بـعـضِ
لـكـان لـى مـــــضـطـربٌ واسـعٌ ... فى الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ
وإنمـــا أولادُنـــا بـيـــنـــنـــا ... أكـبـادُنا تمشي على الأرضِ
لو هبتِ الريحُ على بعـضـهـم ... لامـتنعتْ عـينى عنِ الغـمض

فهؤلاء الأولاد هم كالأكباد التى تمشى على الأرض .

* والبنت نعمة :

ربما رأيت بعض الناس يتضايقون من إنجاب البنات ، ويتبرمون منه ، وينسون أن البركة ربما تأتى مع البنت ، والعون الربانى ربما يصاحبها ، وأن الله تعالى قد يرزق الإنسان بسببها.

قال ﷺ : « **هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم** » (١) ، وفى حديث آخر قال ﷺ : « **ابغونى ضعفاءكم ، إنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم** » (٢) ، والمرأة والبنت من الضعفاء ،

---

(١) أخرجه البخارى (٢٦٨١) من حديث سعد رضي الله عنه .
(٢) أخرجه الترمذى (١٦٢٤) ، وأحمد (٢٠٧٣٨) عن أبى الدرداء رضي الله عنه ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

فالمؤمن الحق يفرح بميلادها ، ويحمد الله والبنت من الضعفاء ، فالمؤمن الحق يفرح بميلادها ، ويحمد الله ويشكره ، ولو لم يكن من ذلك إلا مخالفة لعادات الجاهلية الأولى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ [النحل : ٥٨-٥٩] ، فلو لم يكن من الفرح بالبنت إلا مخالفة عادات الجاهلية الأولى ، وإعلان الرضا بما كتبه الله تعالى وقدره وقضاه ؛ لكان ذلك خيراً .

ويكفيك أن تعلم كيف كان النبى ﷺ يعامل ابنته فاطمة رضي الله عنها ، وكيف فرح بها ، وكيف فرح ببناته الأخريات ، وكيف كان ﷺ يُظهر لهنّ من الودّ ، والحب ، والعطف ما لا يخطر على بال .

عبرة من الواقع :

فثمة رجل كان لا يولد له إلا البنات ، فضاق بذلك ذرعاً فلما حملت زوجته هدّدها إن هى أنجبت هذه المرة أنثى أنه

سيطلقها ، أو يتزوج غيرها ، وذهبت زوجته إلى المستشفى ، وهى فى كرب شديد ، ولاحظ الأطباء على وجهها علامات الإعياء والإرهاق ، وعلى قسماتها آثار حزن عميق طويل ، فسألوها : ما الخطب ؟ فتمنَّعت ، ثم ألحوُّا عليها فأخبَرتهم ، فقال أحد الأطباء : أنا له ، وانتظر الزوجَ طويلاً حتى قدم ، فقال له : أبشرْ بولد ، فتهلَّل وجهُ الزوج وفرح وأشرق ، ثم أضاف : ولكنه مصاب بعُتْهٍ وتخلُّفٍ عقلى ، بسبب نقص فى الدماغ ، ومصاب بنوع من التشوُّه الجسمانى ، ثم طفق يصبِّره ويرضيه بقضاء الله تعالى وقدره .

فانهملت من عينى الأب دمعتان ، وقال : ما هذا إلا بسبب عدم رضاى بقضاء الله تعالى وقدره ، حينما سخطتُ البنات ، والله لو لم يكن نسلى إلا بنات لا يرى الله تعالى منِّى بإذنه إلا الرضا بما قسم .

فقال له الطبيب : إذن هوِّن عليك ، فإنما رزقك الله تعالى ببنت كاملة سوية ليس فيها ما يُنقَص أو يُعاب .

فاستغفر الله تعالى ، وعرف عظيم نعمة الله تعالى عليه ، حين رزقه ولداً [١] سوياً سليماً معافى من الآفات والأمراض ، والنقائص العقلية أو الجسمية ، وإنما تعرف النعمة بفقدها .

إذن الأولاد – ذكوراً أو إناثاً – نعمة عظيمة ، ينبغى أن نرعاها ونتعاهدها ، ونشكرها حق شكرها ، وذلك بمعرفتنا لحقوق أولادنا التى كفلها لهم الشارع الحكيم ، وعلمنا بالوسائل الصحيحة والناجحة فى تربية أولادنا .

---

(١) الولد يطلق على الذكر والأنثى .

الفصل الأول
حقوق الأولاد في الإسلام

شكر نعمة الولد :

أيها الأب ! هل تدرى أى نعمة أنت فيها ؟ وهل تدرى أى شكر أنت مطالب به ؟ فإياك أن تكون ممن يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ، إن واجبك هو الشكر ، والشكر ليس كلاماً فقط ، بل هو عمل ، قال البارى جل وعلا : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣]، ﴿اعْمَلُوا﴾ ! إذن الشكر عمل ، وتطبيق وامتثال ، وتنفيذ أوامر المنعم فيما أنعم به عليك .

فشكر المال مثلاً ، أن تكسبه من حله ، وتنفقه فى حله ، وتؤدى حق الله تعالى فيه ، وشكر الولد يكون كذلك بأشياء عملية ، ومن ذلك : القيام بحقه فى شريعة الله تعالى ، ولذلك كان على كل أب أن يعرف هذا الحق .

وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نلقى الضوء على بعض حقوق الأولاد فى الإسلام .

حقوق الأولاد فى الإسلام :

أولاً : الحقوق المادية :

الكثيرون منا يعلمون أن من حق الولد أن تطعمه إذا طعمت ، وتكسوه إذا اكتسيت ، وتؤويه من أذى الحر والقر ، وهذا صحيح ، ولكن هذا الطعام الذى تقدمه له ، وهذا اللباس الذى تمنحه إياه ، وهذا البيت الذى تؤويه فيه ؛ يجب أن تتذكر أنك مسؤول بين يدى الله عز وجل يوم القيامة ، من أين أطعمته ؟ ومن أين ألبسته ؟ وفيم أسكنته ؟ .

إنه لغبن شديد وخسارة عليك أية خسارة ، أن تتعب فى جمع المال فى هذه الدنيا ، ثم تضعه لقمة فى فم ولدك ، أو تضعه ثوباً على جسده ، أو تبنى به بيتاً يؤيه ، ثم يكون ذلك عاراً عليك فى الدنيا ، وناراً عليك فى دار القرار ؛ لأنك كسبت هذا المال من حرام فكسبت المال من الربا ، أو من بيع الحرام ، أو ما أشبه ذلك من المكاسب المحرمة التى يعلم صاحبها

قبل غيره أنها حرام .

فإن من حكمة الله تعالى : أنه جعل فى قلب الإنسان فرقاناً ، يبين له الحرام فى هذا الأمر ، « **البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك** » (١) .

فعليك أن تقى نفسك وولدك المكسب الحرام ، وأن تتذكر أن النبى ﷺ قال : « **إنه لا يربو لحم نبت من سحت ، إلا كانت النار أولى به** » (٢) .

إذاً ؛ فعليك مراقبة مكسبك الذى تطعم منه ولدك ، وتنقيته أن يكون فيه سحت أو حرام .

هذا أبو بكر رضي الله عنه كان له غلام يخرج له الخراج (٣) ،

---

(١) أخرجه الدارمى (٢٤٢١) ، وأحمد بنحوه (١٧٣١٣) ، (١٧٣١٥) ، (١٧٣٢٠) ، من حديث وابصة بن معبد الأسدى رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذى (٦١٤) ، وأحمد بنحوه (١٣٩١٩) ، (١٤٧٤٦) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه .

(٣) يخرج له الخراج : أى يأتيه بما يكسبه ، والخراج ما يقرره السيد على عبده من مال يحصره له من كسبه .

وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : « أتدرى ما هذا ؟ فقال أبو بكر : وما هو ؟ ، قال : كنت تكهنت [١] لإنسان فى الجاهلية وما أُحسنُ الكهانة [٢] ، إلا أنى خدعته فأعطانى بذلك [٣] ، فهذا الذى أكلت منه » فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيءٍ فى بطنه .

وفى رواية أنه – أى الغلام – كان يجيء بكسبه فلا يأكل منه حتى يسأله ، فأتاه ليلة بكسبه فأكل منه ولم يسأله ، ثم سأله [٤] .

---

(١) تكهنت : أى : حدثته عن الغيب .

(٢) الكاهن : هو من يدعى معرفة الأسرار وما يقع فى مستقبل الزمان ، والعرب تسمى كل من يتعاطى علماً دقيقاً « كاهناً » ، وربما سموا المنجم والطبيب كاهنين لذلك . انظر « لسان العرب » (كهن) .

(٣) فأعطانى بذلك : أى : عوض تكهنى له .

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٤٢) من حديث عائشة رضى الله عنها وعند عبد الرزاق بنحوه ، بسند صحيح ، وفى « الورع » للإمام أحمد بسندٍ رجاله ثقات ، لكنه مرسل . وانظر : الفتح (١٥٤/٧) .

وفى رواية عن زيد بن أرقم قال : « كنت عند أبى بكر ، فأتاه غلام بطعام فأهوى إلى لقمة فأكلها ثم سأله : من أين اكتسبه ؟ قال : كنت قسّاً للقوم فى الجاهلية ، فأوعدونى فأطعمونى هذا – يعنى : اليوم – فقال : لا أراك إلا أطعمتنى ماحرّم الله ورسوله ، ثم أدخل إصبعيه فتقيأ ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **أيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به** » (١) .

إنه لغبن عظيم ، أن تبذل جهدك ، وعقلك وتفكيرك من أجل الحصول على هذا المال ، ولكنه مال حرام ، فتطعمه زوجتك وأولادك ، فيكون لهم طيبه ، وعليك أنت إثمه وجرمه.

هذا فضلاً عن أن أجسادهم تلك التى نبتت من حرام ، لا يبارك لك فيها ، فلا نظنك تجد برهم ، ولا تفرح ببركتهم ، ولا تجد شيئاً من نفعهم فى هذه الدنيا ، وأنت قد أطعمتهم من ذلك المال الحرام .

---

(١) أخرجه البيهقى فى كتاب « شعب الإيمان (٥٧٦٠) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه .